



فكر صح



ماذا نفعل

بالسيارة ؟

وائل عادل



قَضَى صَخْرٌ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةً
مِنْ عُمُرِهِ فِي وَرَشَتِهِ الْمُظْلِمَةِ،
يَجْمَعُ الْحَدِيدَ الْقَدِيمَ، وَيُذِيبُهُ
بِالنَّارِ، بَذَلَ جُهْدًا وَوَقْتًا كَبِيرًا
لِإِعْدَادِ السَّيَّارَةِ، الَّتِي سَتَكُونُ
رَفِيقَتَهُ إِلَى "بِلَادِ النُّورِ".



كَانَتْ أُخْتُهُ حَيَاةً تُرَاقِبُهُ
بِصَمْتٍ، وَتَسْأَلُهُ دَائِمًا: "أَلَا
تَخْشَى يَا صَخْرُ أَنَّكَ سَتُضَيِّعُ
عُمْرَكَ بَيْنَ هَذَا الْحَدِيدِ؟"

كَانَ صَخْرُ يُجِيبُ دَائِمًا:
"انْظُرِي إِلَى بَرِيقِ الْحَدِيدِ، هُوَ
سَبِيلُ الْوُصُولِ إِلَى بِلَادِ
النُّورِ".



وَأَخِيرًا انْتَهَى صَخْرٌ مِنْ صِنَاعَةِ
السَّيَّارَةِ، فَكَانَتْ تُحَفَّةً فَنِّيَّةً،
تَفِيضُ بِالْجَمَالِ وَالْإِثْقَانِ.

مَسَحَ صَخْرٌ مُقَدِّمَتَهَا بِخِرْقَةٍ
نَاعِمَةٍ، وَكَانَ يَرَى فِي لَمَعَانِهَا
حُلْمَ الْوُصُولِ... إِلَى بِلَادِ
النُّورِ.



بَدَأَتِ الرِّحْلَةَ الْكُبْرَى،
وَأَنْطَلَقَتِ السَّيَّارَةُ عَبْرَ
السُّهُولِ الشَّاسِعَةِ وَالْجِبَالِ
الْوَعِرَةِ.

كَانَ صَخْرٌ سَعِيدًا بِسَيَّارَتِهِ،
بَيْنَمَا كَانَتْ حَيَاةٌ تَنْظُرُ مِنْ
النَّافِذَةِ، مَبْهُورَةً بِالْعَالَمِ الَّذِي
بَدَأَ يَتَكَشَّفُ أَمَامَهُمَا لِأَوَّلِ مَرَّةٍ،
بَعِيدًا عَنْ جُذُرَانِ الْوَرْشَةِ
الْبَاهِتَةِ.



فَجَاءَ أَوْقَفَ صَخْرُ السَّيَّارَةِ،
فَقَدْ انْتَهَى الطَّرِيقُ عِنْدَ حَافَةِ
جُرْفٍ صَخْرِيٍّ شَاهِقٍ، يُطِلُّ
عَلَى بَحْرِ عَمِيقٍ.

نَظَرَ إِلَى الْأُفُقِ، لِيَرَى وَهَجًا
ذَهَبِيًّا؛ كَانَتْ تِلْكَ أَنْوَارُ بِلَادِ
النُّورِ تُنَادِي الْقَادِمِينَ مِنْ
خَلْفِ الْأَمْوَاجِ.



تَسَلَّلْتُ حَيَاةً إِلَى أَسْفَلِ
الْجُرْفِ عَبْرَ مَمَرٍ ضَيِّقٍ، كَانَتْ
تَبْحَثُ عَنْ طَرِيقٍ، وَهُنَاكَ
وَجَدْتُ سَفِينَةً خَشَبِيَّةً قَدِيمَةً
تَتَأَرَّجُ فَوْقَ الْأَمْوَاجِ.

صَرَخْتُ مُنَادِيَةً بِصَوْتٍ عَالٍ:
"صَخْرُ! تَعَالَ بِسُرْعَةٍ، لَا يُمَكِّنُ
إِكْمَالُ الطَّرِيقِ بِالسَّيَّارَةِ، لَا مَفَرَّ
مِنْ عُبُورِ الْبَحْرِ! هَذِهِ السَّفِينَةُ
هِيَ وَسِيلَتُنَا الْوَحِيدَةُ لِنَعْبُرَ إِلَى
الضَّفَةِ الْأُخْرَى".



نَزَلَ صَخْرٌ بِبُطْءٍ، وَنَظَرَ إِلَى
السَّفِينَةِ الصَّغِيرَةِ، ثُمَّ عَادَ بِنَظَرِهِ
إِلَى سَيَّارَتِهِ فَوْقَ الْجُرْفِ.

قَالَ بِصَوْتٍ يَرْتَجِفُ: "وَمَاذَا
سَنَفْعَلُ بِالسَّيَّارَةِ يَا حَيَاةُ؟
السَّفِينَةُ لَنْ تَتَحَمَّلَ وَزْنَ السَّيَّارَةِ
الثَّقِيلِ، كَيْفَ أَتْرُكُ هُنَا تَعَبَ
السَّنِينَ الْمَاضِيَةِ؟ انْظُرِي كَمْ هِيَ
رَائِعَةٌ؟".

حَاوَلْتُ حَيَاةَ إِقْنَاعَهُ: "السَّيَّارَةُ
بِالْفِعْلِ رَائِعَةٌ، كَانَتْ مُفِيدَةً فِي
بَدَايَةِ الرِّحْلَةِ، لَكِنَّهَا الْآنَ
أَصْبَحَتْ قَيْدًا يَمْنَعُكَ مِنَ الْعُبُورِ
إِلَى بِلَادِ النُّورِ".

لَكِنَّ صَخْرًا صَرَخَ فِيهَا: "لَا دَاعِيَ
لِلذَّهَابِ إِلَى بِلَادِ النُّورِ، لِنَذْهَبْ
بِالسَّيَّارَةِ إِلَى أَيِّ مَكَانٍ، صَدَّقِينِي
سَيَكُونُ هُوَ الْأَجْمَلَ".

وَحِينَ لَمْ تُوَافِقْهُ حَيَاةٌ، رَغَضَ
نَحْوَ سَيَّارَتِهِ الَّتِي تَعَلَّقَ بِهَا، كَمَنْ
يُحَاوِلُ إِنْقَازَ غَرِيقٍ.





رَكَبْتُ حَيَاةَ السَّفِينَةِ وَخَذَهَا،
وَبَدَأَتِ الرِّيَّاحُ تَدْفَعُ الْأَشْرَعَةَ
بَعِيدًا عَنِ الشَّاطِئِ.

نَظَرْتُ إِلَى قِمَّةِ الْجُرْفِ لِلْمَرَّةِ
الْأَخِيرَةِ، وَقَالَتْ بِأَسَى: "وَدَاعَا يَا
صَخْرُ، لَقَدْ تَمَسَّكَتَ بِالْحَدِيدِ
وَتَرَكْتَ النُّورَ".



غَابَتِ الشَّمْسُ، وَبَقِيَثُ أَنْوَارُ
بِلَادِ النُّورِ تَلْمَعُ فِي الْأُفُقِ، وَعَلَى
قِمَّةِ الْجُرْفِ ظِلٌّ صَخْرٌ جَالِسًا
دَاخِلَ سَيَّارَتِهِ.

لَمْ يَشْغَلْهُ الْبَحْثُ عَنِ الْوَسِيلَةِ
الَّتِي تُوصِلُهُ إِلَى بِلَادِ النُّورِ، وَلَكِنَّهُ
كَانَ يُفَكِّرُ: "مَاذَا أَفْعَلُ بِالسَّيَّارَةِ؟
فَهِيَ لَنْ تُوصِلَنِي إِلَى بِلَادِ النُّورِ."
لَكِنَّهُ أَذْرَكَ مُتَأَخِّرًا أَنَّ التَّمَسُّكَ
بِالْوَسِيلَةِ قَدْ يَجْعَلُهُ يَخْسِرُ
الْهَدَفَ إِلَى الْأَبَدِ.



فَجَاءَ فَتَحَ صَخْرٌ عَيْنَيْهِ،
لِيَجِدَ نَفْسَهُ مُسْتَلْقِيًا عَلَى
فِرَاشِهِ دَاخِلَ وَرَشْتِهِ،
لِيَكْتَشِفَ أَنَّ رِحْلَتَهُ كَانَتْ
مُجَرَّدَ حُلْمٍ.

أَخَذَ يُرَدِّدُ: "سَأَصْنَعُ السُّفْنَ
إِنْ لَزِمَ الْأَمْرُ.. لَنْ أُنْتَظِرَ
حَتَّى يَجْفَأَ الْبَحْرُ".